في قوة تأنيث المسند اليه فانث ان قال الكون عبارة عن الفتنة كما انث الضمير الراجع الى من لكونه عبارة عن الام
في قولهم من كانت امك وقرأ الباقون ثم لم يكن بالياء التحتانية لاسناد الفعل الى مذكر وهو قوله الا ان قالوا
ونصب فتنتهم على انها خبر مقدم والتقدير لم يكن فتنتهم الا قولهم قوله يكذبون ويحلفون عليه
اي على الكذب وهو قولهم ما كنا مشركين ذهب جمهور المفسرين الى ان الكفار يكذبون ويحلفون على الكذب
يوم القيمة من فرط الحيرة والدهشة مع علمهم بان ذلك لا ينفعهم يوم القيمة بناء على ان حقايق الاشياء
تنكشف فيه فلا يروج فيه التلبيس والتزوير فانه يوم تبلى السرائر وتبدو الضمائر واحتجوا عليه بايات
منها هذه الآية فانها بظاهرها تدل على انهم حلفوا في القيمة على انهم ما كانوا مشركين وهو كذب ومنها
قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون شبه كذبهم في الآخرة
بكذبهم في الدنيا ولم يجوزه ابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار احتجاجا بانه كيف يتصور ممن يعلم ان لا ينفعه الكذب
ان يفضح نفسه بارتكاب ذلك واجابوا عن الآية بان معناها ما كنا مشركين في اعتقادنا وظنوننا
لان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم انهم موحدون متباعدون عن الشرك ويقولون انما نعبد
الاصنام ليقربونا الى الله زلفى فلا يكون قولهم ما كنا مشركين كذبا في زعمهم فليس في الآية ما يدل على صدور
الكذب عنهم يوم القيمة ولم يرض المصنف بهذا الجواب بناء على انه تعالى وصفهم بانهم كذبوا على
انفسهم بنفي الشرك عنها فكيف يكونون صادقين في قولهم ما كنا مشركين ثم اشار الى انهم ان دفعوا
المخالفة بين قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وبين ما ذكروه من قولهم ما كنا مشركين عند انفسهم كيف
كذبوا على انفسهم وبين ما ذكروه من قولهم ما كنا مشركين معناه ما كنا مشركين عند انفسنا بان يقولوا انما
يتحقق المخالفة بينهما ان لو كان المراد بقوله تعالى كيف كذبوا على انفسهم انهم كذبوا على انفسهم في قولهم ما كنا مشركين
وليس كذلك لجواز ان يكون المراد انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا في امور كانوا يخبرون عنها
كقولهم انهم على الحق وان ما هم عليه ليس بشرك وانه ليس بهم ضلال ولا محذور فنسب الكذب اليهم في
الدنيا وانه لا يستلزم كذبهم في الآخرة لجواز ان يقولوا يوم القيمة ما كنا مشركين في زعمنا وعند انفسنا
فذلك الدفع ليس بمقبول بل هو تعسف من حيث انه يوجب تفكيك نظم الآية وصرف اول الآية الى احوال
القيمة وصرف آخرها الى احوال الدنيا وهو بعيد غاية البعد وذلك لان اول الآية وهو قوله ويوم نحشرهم
الى قوله ما كنا مشركين وما بعدها وهو قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون في احوال الآخرة فصرف ما بينهما الى احوال الدنيا

الدنيا يوجب تفكيك نظم الآية قوله ونظير ذلك اي نظير قولهم يوم القيمة ما كنا مشركين
في الدلالة على وقوع الكذب من اهل القيمة قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الآية فانه تعالى
قال في حق المنافقين الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم و
يحلفون على الكذب وهم يعلمون يعني تولوا اليهود وقالوا للمسلمين والله انا مسلمون وهو حلفهم
على الكذب ثم قال بعده يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وليس معناه الا انهم
يحلفون لله تعالى في الآخرة على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا شبه الله تعالى كذبهم في الآخرة
بكذبهم في الدنيا قوله وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على تقدير يا ربنا او اعني ربنا وفي التقديرين
يكون الجملة معترضة بين القسم وجوابه وهو قوله ما كنا مشركين وقرأ الباقون بجر ربنا على انه صفة
للجلالة او بدل منه او عطف بيان له قوله تعالى وضل عنهم اي زال وبطل ما كانوا يفترون
بعبادتهم اياه من الاصنام فلم تغن عنهم شيئا فانهم كانوا يرجون شفاعتهم ونصرتها لهم فبطل ذلك في
ذلك اليوم وهذه الجملة يحتمل ان يكون معطوفة على جملة كذبوا فيكون داخلة في حيز انظر وان يكون
استينافا فاخبارا فلا يكون داخلا في حيز انظر قوله ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وكان
نضر بن الحارث كثيرا يحدث عن القرون الماضية واخبارها قوله كراهة ان يفقهوه اشارة الى
ان قوله ان يفقهوه في موضع النصب على انه مفعول له فلما حذفت الكراهة انتقل نصبها
الى ان والوقر الصمم والثقل في الاذن وليس المراد بقوله تعالى جعلنا على قلوبهم اكنة وفي اذانهم
وقرا انهم لم يسمعوا ما تلي عليهم ولم يفقهوا معناه بل المراد انهم حرموا الانتفاع بما سمعوه من الهدى
والبينات عقوبة لهم مترتبة على اختيار الكفر واتباع الهوى والاعراض عن اتباع الدليل والبرهان
فانهم لما لم ينتفعوا بما تلي عليهم نزلوا منزلة من لم يسمع ولم يفقه شيئا مما تلي عليهم فصارت قلوبهم
كانها جعلت في الكنان فلا ينفذ فيها الايمان والعرفان وصارت اذانهم كانها مؤوفة بآفة الصمم
فتعذر ان يتوسل بها الى استماع الدليل والبيان فانه تعالى لا يجبر المؤمن المطيع على الايمان والطاعة و
لا الكافر العاصي على الكفر والعصيان بل اودع في كل مكلف قوة عاقلة يميز بها الحق من الباطل وقوى
طبيعية تدعوها الى اتباع الشهوات والحظوظ النفسانية وبين منتهى طريقيه فقال اما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى واما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى [illegible]

استيناف اخبار خ

Copyright © King Saud University